

## المسألة العربية

### ( مقالة لتاريخ )

الاسلام والجنسية العربية . ابراهيم الخليل عربي . الاخوتان الدينية والجنسية . اتفاق الاسلام والجنسية العربية . مصلحة المسلمين وغيرهم من العرب في تجديد الدولة العربية واحدة . مصلحة المسلمين الاعاجم ورأيهم في ذلك . استقلال لبنان لم تكن عقبة في طلب العرب للاستقلال . لم ينهض العرب للاستقلال في عهد عبد الحميد . انهم الحادي والاكتئاب بالليل الى استقلال العرب . حال أمراء الجزيرة وزبديه اليمن وزعماء الولايات العربية في ذلك . الخلافة عند أهل الزبديه وأهل السنة . السبب الحقيقي لكون العرب وسكونهم هو الاسلام وأوربة . ازالة الاسلام تعهدية الجنسية . اجاع العرب على المحافظة على الدولة . أسهم منها . استقلال الحجاز . اتفاق الحقاء على استقلال الشمرات أو تفويض أمر حكمها اليها

إنني عربي مسلم أو مسلم عربي، فانا قرشي هلوي، من ذرية محمد النبي العربي، الذي ينتهي نسبه الشريف الى اسماعيل بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام، وملكه الجنسية هي ملة جده ابراهيم، أساسها التوحيد الخالص واسلام الوجه لله تعالى وحده، (٢: ٢٩) ومن يرغب من ملة ابراهيم الا من حقه نفسه — اقرأ الآيات الى قوله — ونحن له مسلمون) فاسلامي مقارن في التاريخ لعريقي — وان من الناس من هو أقدم نسبا في الإسلام، ومن هو أقدم نسبا في العربية، وهم من عدا الاسماعيليين من متقدمي العرب ومتأخريهم، وأما الاسماعيليون منهم فتاريخ عربيتهم واسلامهم واحد اذ ين اول أب لهم في العرب مسلما، وقد يقال ان اسلامهم أقدم اذا كان ابراهيم (ص) غير معدود من العرب على ما هو المشهور في كتب التاريخ من أن أول العرب المستعربة اسماعيل (ص) وكانهم عدوه كذلك لانه ولد في بلاد العرب ونشأ فيها فلم يكن له لسان غير اللسان العربي . ولكن التاريخ يثبت لنا ان أباه ابراهيم (ص) كان يتكلم باللغة العربية، كما يؤخذ من التاريخ العربي والتاريخ المستنبط من الآثار القديمة، أما مأخذ ذلك من التاريخ العربي فهو انه أقام في بلاد العرب زمنا أقام فيه الدين وبنى البيت الصيق الذي هو أقدم بيت وضع لعبادة الله وحده في الارض، فن البديهي انه كان يعلمهم الدين بلسانهم وبخطابهم به، وأما مأخذ ذلك من (المنار: ج ١) (٥) (المجلد العشرين)

الأثار القديمة المكتشفة في هذا العصر موضحة للتاريخ للقديم فهي أن علماء الآثار  
 بينوا لنا ان مدينة الكلدان كانت عربية وان (هورابي) الذي كان ملكهم وصاحب  
 شريعتهم في عهد ابراهيم (ص) كان عربيا، وقد اكتشفت شريعته في بلاد العراق  
 منقوشة على عمود من الحجر الاصم فكانت باللغة العربية لذلك الزمان. وقد جاء في سفر  
 التكوين أول أسفار العهد القديم عند أهل الكتاب ان هورابي هذا كان في زمن  
 ابراهيم ، وانه كان يدعى ملك السلام وكاهن الله العلي ؛ وأنه بارك ابراهيم وان  
 ابراهيم أعطاه عشرا من كل شيء (راجع تك ١٤ : ١٨ )  
 قلت إتني عربي مسلم . فأنا أخ في الدين لألوف الألوف من المسلمين من  
 العرب وغير العرب ، وأخ في الجنس لألوف الألوف من العرب المسلمين وغير  
 المسلمين . أما دليل الأخوة الدينية فقوله تعالى ( إنما المؤمنون إخوة ) وأما دليل  
 الأخوة الجنسية فالآيات المتعددة في سورة الاعراف والشعراء المصروفة يكون  
 الانبياء المرسلين أشتره لأقوامهم المشركين ، ولما كان شعيب عليه السلام قد أرسل  
 الى قومه أهل مدين والى أصحاب الايكة من غير قومه اختلف التعبير عنه فقد  
 قال تعالى في سورة الاعراف (٧ : ٨٤ والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله  
 ما لكم من إله غيره ) أي وأرسلنا الى مدين أخاهم في النسب شعيبا الخ . وقال في  
 سورة الشعراء (٢٦ : ١٧٦ كذب أصحاب الايكة المرسلين ١٧٧ اذ قال لهم شعيب  
 ألا تتقون ١٧٨ اني لكم رسول أمين ) ولم يقل أخوم شعيب كما قال في عاد (أخوم  
 هود) وفي ثمود (أخوم صالح) — مثلا — لانه لم يكن من جنسهم  
 وإتني احمد الله عز وجل أن جعل مصلحة العرب السياسية في عصرنا موافقة  
 لمصلحة المسلمين السياسية كما أيدته في هذه المقالة ، ولو تمارضنا اقدمت ما يوجبه  
 علي ديني ، على ما تقتضيه مصلحة أبناء جنسي ، لآتني أرجو بديني سعادة الدنيا  
 والآخرة ، وأنا موقن بذلك ، ولا أرجو بخدمة جنسي وحده الا الدنيا وحدها ،  
 وما أنا على يقين من إدراكها ، على اني راض بما آتاني الله منها ، أما وقد أهدتني  
 بخدمة جنسي خدمة لديني ينفعني في الآخرة ان لم ينفعني في الدنيا ، وأنا مؤمن بهذا  
 وان كان ينفعني على كثير من اخواني المسلمين

### مصلحة العرب والمسلمين في الدولة العربية

إنما مصلحة العرب السياسية ان يكون لهم دولة مستقلة ، وهذا أمر بديهي لا يختلف فيه عاقلان ، فالعرب أمة من أقدم أم الارض وأعرقها في الاستقلال ، ذات مجد عظيم ، ومدنية عالية في التاريخ القديم والحديث ، ولغة ممتازة في لغات العلم والادب ، وشريعة هي أعدل الشرائع المنزلة للبشر ، وقد ضفت هذه الأمة الكريمة وضفت مزاياها ولغتها ، وأهل معظم شريعتها وكادت تقى بفنائها ، كل ذلك لعلم وجود دولة مستقلة لها ، إذ يستحيل ان ترتقي أمة بغير دولة .

ان السواد الاعظم من العرب يدينون دين الاسلام واللغة العربية هي لغة هذا الدين فلا نصح لمسلم عبادة بغير هذه اللغة ، فبالدولة العربية تحيا لغة القرآن ، وتحيا بحياتها شريعة الاسلام . فمن البديهي اذاً ان يكون الخير كل الخير للمسلمين في هذه الدولة اذا وجدت ، وان عقلاء المسلمين من غير العرب يعلمون هذا ولكنهم يرونه الآن متعذرا أو متسرا ، ويخشون كما كان يخشى مسلمو العرب ان يكون السعي له مفضيا الى اضافة الدولة العثمانية التي لم يبق للمسلمين دولة غيرها فيكون مثل الساعين كثر من له دار تكنه فهدمها لينى خيرا منها فمجز عن البناء وأمسى في العراء معرضا لما يجني على حياته ، ولكن جمعية الاغرار المغرورين ( جمعية الاتحاد والترقي ) ما زالت تهدم من آمال العرب في بقاء الدولة وفي كون بقائها خيراً للاسلام والمسلمين حتى دعيتهم بل دعيتهم<sup>(١)</sup> الى طلب لاصلاح في الجملة ثم الى طاب اللامركزية ثم الى استقلال الحجاز ، ولا يعلم خبر الله ما تكون عاقبة ذلك ، لان العالم كله في طور تغير وانقلاب مجهول ، ولكن معلوم قطعا ان ما حصل في بلاد العرب هو نتيجة طبيعية لسيرة الاتحاديين لم يكن في استطاعة أحد دفعه كما يعلم مما يأتي

وأما غير المسلمين من العرب فهم الآن كالمسلمين ليس لهم دولة ، ولأن يكون لأبناء جنسهم دولة خير لهم من ان يكونوا تابعين لدولة أعجمية لا يشاركونها في النسب ولا في اللغة ولا في العادات والتقاليد ولا في الوطن الجغرافي<sup>(٢)</sup> ولا في الدين ، ولا للدولة

(١) دعيتهم بتشديد العين دفعتهم بعنف

(٢) هذا الوصف احتراز من الوطن السياسي

أعجمية يشاركها بعضهم في الدين والمذهب أو في الدين دون المذهب دون سائر مقومات الام ومشخصاتها وهم يعلمون أن الدين أو المذهب لا يحماها على جملهم مساوين لابناء جنسها ووطنها وان كانوا من غير أبناء دينها ومذهبها، ولا يضرهم أن تكون العربية في هذه الدولة الاغلبية للمسلمين من أبناء جنسهم، فإن أفراد البشر وجمعياتهم يتآفون ويتعاونون على مصالحهم بكثرة ما يشتركون فيه من مقومات الام ومشخصاتها، وما يشترك فيه المسلمون وغيرهم من العرب من المقومات والمشخصات كاللغة والعادات والآداب والمصالح والمرافق الوطنية أكثر مما يشترك فيه غير المسلمين من العرب مع الافرنج المواقفين لهم في الدين، بله الترك المخالفين لهم حتى في الدين، ودين الاسلام دين مساواة في الحقوق وحرية تامة في العتائد، وقد ارتقى غير المسلمين في أرقى دول العرب الاسلامية مدنية الى أعلى المناصب، حتى كان وزراءهم وأطبائهم يزاحمون الخلفاء العباسيين بالمناكب، واذا كان لغير المسلمين أغلبية في بقعة من البلاد العربية (كجبل لبنان) فانه يمكنهم ان يكونوا مستقلين مع ارتباطهم واتحادهم بالملكة العربية فيها استقلالاً ادارياً واسعاً خيراً من الاستقلال الذي نالوه منذ نصف قرن

لونهض زعماء العرب الى السعي للاستقلال لما تعذر عليهم ارضاء اللبنانيين منهم بذلك وازالة جميع ما في البلاد من اسباب الخلاف. ولو تعذر عليهم ارضاء اللبنانيين في اوائل العهد بالسعي لما كان ذلك موجبا لتركه والياس منه. ولا اطيل في بيان هذا وكشف غواشي الاوهام عنه لأنه يخرج بي عن المقصد من هذا المقال، واكتفي منه بتذكير الملم بتاريخ سورية الحديث بتلك الحركة العربية التي حدثت في سورية أيام كان مدحت باشا زعيم الترك الاكبر واليا عليها فانهم يتذكرون ان اللبنانيين كانوا في طليعة العاملين، وبرهاننا على هذا قصيدتا اليازجي البائية والسينية

لاجل هذا كان سكون العرب العثمانيين وسكوتهم في الاجيال الاخيرة التي تحركت فيها عصبيات الاجناس وهبت لطلب الاستقلال مثارا لعجب من لم يعرف سبب ذلك السكون من العقلاء،

اتهام الترك للعرب

كان الترك يتهمون العرب بالميل الى الاستقلال دونهم والسعي لذلك وانه

لا يتمتع منه الاضعفهم وعجزهم أمام قوة الترك . وقد ذكرت في مقالاتي (العرب والترك) التي كتبتها في الآستانة ونشرتها في جرائدها ثم في المنار اتني لا أهرق لهذه التهمة أصلا الا ما كان من اقتراء جوايسيس السلطان عبد الحميد وطلاب المنافع عنده أو استقلال أوهامه ، بل أقول ان هذه التهمة لم تكن منتولة في عهد السلطان عبد الحميد لان النهوض بأمر الاستقلال اما ان يكون من جانب الامة بما تتوصل به اليه من الجمعيات السياسية والمصائب المسلحة ، ولم تنصد الامة العربية لذلك البتة - وإما ان يكون من جانب الامراء المستقلين بالادارة في بعض الاقطار أو من دونهم من الزعماء أصحاب العصبيية، ولم نعلم ان أحدا من أمراء جزيرة العرب أو من الزعماء في الولايات العربية العثمانية كان مظنة أو موصفا لهذه التهمة اذ لا توجد شبهة بضد عليها في ذلك . الا ان المفسدين كانوا يتهبون خديو مصر عباس حلمي باشا بذلك فكان يُسمح لهم لان مصر بلاد عربية غنية بالمال والرجال وقد تصدى رأس حكومتها الاخيرة ( محمد علي باشا ) لحرب الدولة العثمانية فقهرها واستولى على سورية والحجاز وتوغل في الاناضول ولولا الدولة الانكليزية لاستولى على سائر مملكاتها ، ولكن عباس حلمي باشا لم يكن ليطمع بمثل ما طمع به جده الاعلى ، بل ولا بمثل ما كان يطمع به جده الادنى ( اسماعيل باشا ) من الاستقلال السياسي بمصر والسودان قط لمكان الاحتلال الانكليزي الذي جعل السلطة الفعلية في مصر بيد انكلترة دونه ، ولهذا كان الموسوسون والجوايسيس يزعمون انه على اتفاق مع الانكليز في هذا الامر ، وكان كثير من المصريين وغيرهم يصدق ذلك ، ومنهم من لم يرجع عن هذا التصديق الا بعد نشر كتاب ( عباس حلمي الثاني ) للورد كرومر اذ صرح فيه بأن حياة عباس مع الاحتلال كانت حياة خلاف وشقاق لا يرجي معه اتفاق .

ان المطامعين على الحقائق يعلمون علم اليقين ان عباس حلمي باشا ما كان يسعى لهذا الامر ولا يرجوه ، على انه كان يعلم انه لا سبيل له اليه لو تصدى له ، ويعلمون ان من سياسة انكلترة التقليدية بقاء ما للترك من السلطان والسيادة على بلاد العرب وترجيح ذلك على تأسيس دولة عربية جديدة ، وهي لم تنجح الى سياسة العطف على العرب واظهار الميل لمساعدتهم على الاستقلال الا بعد وقوع الحرب بينها وبين الترك بمدة طويلة .

أما أمراء جزيرة العرب فقد كان كل منهم راضيا بحاله ولم يكن يخطر ببال أحد منهم أن يعتدي على الدولة فيما وراء حدود امارته ولا أن يسعى لذلك بالاتحاد مع غيره، كما انه لم يكن يسهل على أحد منهم أن تعتدي الدولة على استقلاله أو يتحدث في بلاده حديثا ما، لما استقر في أنفسهم من غريزة الاستقلال الموروثة في الأمة العربية مع عدم ثقة أحد منهم بأن الدولة تقم شرع الله في بلادهم، على ان لازيدية دولة أقدم من الدولة العثمانية مازالت تنصب الأئمة من قریش عليها ويعتقدون ان الترك من البغاة الخوارج على الامام الحق، وأهون اعتقاد سائر عرب الجزيرة في حكام الترك انهم ظلمة فسقة مبغضون للعرب. ولكنهم مع ذلك يحبون بقاء الدولة ويتمنون لها القوة والمظنة لأجل صد الأفرنج عن البلاد الاسلامية. وقد كان رجال الدولة في العهد الأخير يعتقدون أن الشيخ مبارك الصباح من أشد العرب عداوة للدولة ولكنني لما لقيته سنة ١٣٣٠ منصرفي من الهند أخبرني بما اقيه من عدوان الدولة عليه وتصديها لنيه من الكويت وان انكلترة منعها من ذلك بدون طلب منه وانه مع ذلك محافظ على نسبه اليها وراقع لعلها باختياره ولو شاء لاستبدل به غيره، ومن كلامه في الترك والعرب « نحبهم ولا يحبونا »

وأما كبراء العرب في ولايات سورية والعراق من العلماء والوجهاء فقد كانوا أشد تعصبا للترك من الترك أنفسهم حتى كانوا يفضلونهم على العرب ويسترون ما يعرفون من سيئاتهم، ويكبرون الصغير من حسناتهم، بل يذكرون لهم فضائل ومناقب لا يعرف لها أصل، منها انهم يعدون بعض ملوكهم من الاولياء ومؤرخو الترك يعدونهم من الفساق. ومما كانوا يذيعونه بين العامة أن الشيخ محيي الدين بن العربي والشيخ عبد الغني النابلسي قد علما بالكشف أن ملكهم يبقى الى قيام الساعة.

تلك حال كبراء البلاد وخاصتها والعامة تبع لهم، لم يسمع لاحد منهم نبأ ظاهرة ولا دعوة خفية الى عداوة الترك أو القيام عليهم أو الاستعداد لتأسيس حكومة عربية تستقل في البلاد، اللهم الا ما كان قد قيل من أن شيمة الماسون كانت تسمى لجبل الأمير عبد القادر خديويا لسورية، وما قيل في عهد ولاية مدحت باشا على سورية من انه كان هو الذي يسعى لجمع كلمة المسلمين وغيرهم للاتفاق على

تأسيس امارة عربية في سورية كالامارة المصرية يكون هو الخديو عليها ، ومن أن  
رسم باشا متصرف لبنان الاجنبي الاصل كان هو الذي كشف للدولة دسيسة  
شيخ أحرار الترك وزعيمهم الأكبر ، وترتب على ذلك اخراج السلطان عبد الحميد  
لمدحت باشا من سورية ، وقبل ان تلك الحركة كانت مدبرة بدسائس الاستانة  
ليتوسل السلطان بها الى نفي مدحت باشا ثم الفتنك به . وفي تلك الاثناء نشرت  
قصيدتا الشيخ ابراهيم اليازجي السنية والباطية ( راجع ص ٨٣١ م ١٢ )

ولما كنت أنشر في الاستانة مقالات ( العرب والترك ) وأشرت فيها الى هذه  
المسألة جرى بيني وبين الصدر الأعظم حسين حلمي باشا حديث في هذا الموضوع  
قال لي في أثناءه انه أقام في سورية عدة سنين أيقن في أثناءها بأنه لا يوجد فيها أحد  
من وجهاء المسلمين يكره الدولة الا بعض الافراد من بيت المؤيد ومن بيت الصلح ،  
ومائر الوجهاء مخلصون للدولة كغيرهم . ولا أدري من عنى بقوله ذلك . ولم أعلم عن  
أحد من المعاصرين لنا من أهل هذين البيتين شيئا يبين المراد لنا من قوله ، الا أن  
أحد أفراد البيت الاول كان قد جاء مصر في أوائل عهد مجيئي اليها وأسس جمعية  
دينية يشترط في أعضائها ترك المحرمات والمحافظة على أداء الفرائض وقد ساعدته  
على ذلك ولم أكن أسمع منه كلمة تشعر بأن له غرضا سياسيا منها وقد أفادت الجمعية  
فائدة دينية ظاهرة ، ثم انشق عنها عضو مصري تركي الاصل زاعما ان للمؤسس  
غرضا سياسيا منها وتبعه على هذا جماعة من أعضائها في القاهرة صاروا يلفطون بذلك .  
ثم ان المؤسس سافر الى الآستانة ثم عاد الى سورية وأقام فيها . ولو صدق السلطان  
عبد الحميد انه كان يسعى الى تلك الغرض السياسي لما أفلت من قبضة انتقامه .  
وانما اتهمه بعض الناس بأنه تعمد القاء كلام لاولئك اللاغطين ليشتبه ويوصله  
الجواسيس الى السلطان

هذا كل ما نعلم عن سورية في هذا الامر . وأما العراق فقد قيل ان السيد  
سلطان القادري قتيب بغداد كان يسعى الى تأسيس حكومة عربية وان طلب السلطان  
عبد الحميد ان يوافق على ذلك .

من الاجناس الذين تنأف منهم المملكة العثمانية انهم فازوا بما جاهدوا في سبيله الى أن قلب لهم المتغلبون على جمعية الاتحاد وعلى الدولة ظهر المحن وأوقعهم في هوة اليأس من الدولة

### السبب الصحيح

تبين مما شرحناه من الحقائق أن عدم تصدي العرب لانشاء دولة جديدة لم يكن سببه الخوف من قوة الدولة كما كان يتوهم الترك فان العرب أقوى من اليونان والبلغار وغيرها من الشعوب التي انفصلت من السلطنة العثمانية وصارت دولاً مستقلة، ولم يكن سببه تفرق العرب وتمذر اتفاق امرائهم وزعمائهم كما يتوهم الكثيرون منهم ومن غيرهم فلو وجد هذا القصد لكان هو الجامع لهم ، ولا الجبل الضارب بجمرانه في البلاد العربية فان محمد علي الكبير لما غزا الدولة وكاد يفتحها كلها لم يكن من علماء السياسة والاجتماع ولم يكن الشعب المصري على درجة عالية من العلوم والفنون التي تدفع الشعوب الى الفتح والاستعمار

وانما كان السبب الصحيح اضمحلال العرب وسكونهم عمه طاب استقروا لهم  
وتجزير دولهم فهو الدستور وأوربية

دين الاسلام وسياسة دول أوربية سببان مستقلان أو سبب واحد مركب لكل من جزئيه تأثير خاص في صرف العرب العثمانيين عن السعي للاستقلال ، وامله لو انفرد أي منهما لما صرفهم كلهم عن كل سعي واكتفاء لذلك

أما الاسلام فقد أزل من أنفس العرب عصبية الجنسية الا من غلبت عليهم البداوة فانهم بما توارثوه من الغرائز والاخلاق لا يخضعون الا لسلطة رؤسائهم الذين من أبناء جنسهم بل من رؤساء عشائهم . وأما من غلبت عليهم الحضارة فما زالوا يألفون سلطة الاعاجم من الملوك والسلاطين الذين يتولون أمرهم من قبل الخلفاء العباسيين ويحكمون بشريعتهم ويؤيدون اقتهم ويتكبرون لغاتهم اليها الى ان هان عليهم الخضوع لسلطة الاعاجم المصريين على أعجبيتهم الذين لا يستمدون سلطتهم من خليفة قرشي عربي وهم الترك ، بل هان عليهم ادعاء هؤلاء الاعاجم للخلافة

النبوية ورضوا بذلك واطمأنوا له لانه مع اشرافه على مجموعهم المتفرق من شاهق القوة  
المسكينة، قد اطل على قلوبهم من سماء الفتاوى الشرعية، ونسرب الى افكارهم من  
باب المصلحة الاسلامية، ذلك بأن أكثرهم من المنتهين الى مذاهب علماء السنة الذين  
يوجبون طاعة المتغلب بالقوة، وان لم يكن حائرا لغير الاسلام من شروط الخلافة الشرعية،  
ومنها النسب القرشي باجماعهم، ومستندهم في ذلك رعاية المصلحة الراجحة وخوف  
الفتنة. على انهم مختلفون في عد رعاية المصلحة حجة، أو داخلة فيما ذكره للقياس من  
مسالك العلة، ومختلفون في سد الدرائع أيضا. ولما كانت الزيدية لا تقول بطاعة  
المتغلبين، ولا بمصلحة تبيح ترك اشتراط النسب القرشي العلوي وشرط العلم الديني  
في أئمة المسلمين، (أي الخلفاء) لم يخضعوا لسلطان الترك ولا دانوا لحكمهم، بل  
ظلوا ينصبون الائمة الحائزين للشروط الشرعية في مذهبهم، ويقاثلون الترك  
الذين يتصدون لفتح بلادهم، ولم تستطع الترك ان تغلب أئمة اليمن على أمرهم، بل  
صالحوا إمامهم الامام يحيى منذ سنين قليلة وأقروه على امامته في قومه ووطنه بعد  
أن حاربوه وحاربوا سلفه أربع مئة سنة، على ان الامامة لا تتجزأ ولا تعدد. والحق  
ان الباعث الاخير لاعتراف أكثر الساميين بخلافة سلاطين الترك هو كونهم أمسوا  
حصنا لبقية البلاد الاسلامية في وجه أوربة

وليس من غرضنا هنا أن نبحث في الخلافة وشروطها وإنما بحثنا هذا تاريخي  
اذا ذكرت فيه مسألة شرعية فانما تذكر على سبيل الاستطراد مختصرة بقدر الضرورة،  
ولم تكن مسألة الخلافة من مواضع بحث طلاب الاصلاح من العرب في السنين الاخيرة  
خلافا لواهام الواهين التي أثارها في مخيلاتهم لفظ بعض الكتاب بها في عهد السلطان  
عبد الحميد لاجل استقلال وساوسه كما تقدم حتى صارت حكومته تمنع نشر كل كتاب من  
كتب الكلام والعقائد والحديث والتفسير تذكر فيه هذه المسألة. ومن أثر ذلك انه لما طبع  
كتاب المسيرة للكامل ابن الهمام وهو من أهم كتب العقائد عند الحنفية وكثير الرواج في  
الآستانة اضطر طابعه بمصر ان يطبع منه نسخة حذف منها بحث الامامة (الخلافة)  
لاجل بيعها في الآستانة وسائر البلاد العثمانية. وصار بعض الجاهلين في مصر يظن  
أن ذكر الشروط الشرعية للخلافة ولا سيما شرط النسب القرشي لا يصدر الا من عدو

للدولة وللإسلام أيضا. على أن هذا الشرط مذكور في الكتب العربية والتركية التي طبعت في الآستانة قبل تشديد الحكومة الحميدية في مراقبة المطبوعات وقد ذكر في بعض الكتب المصرية التي طبعت بعد الدستور ومنها كتاب لإسماعيل حقي بك بايان الاتحادية الذي كان مدرسا في مكتب الحقوق وصار ناظرا للمعارف

تكوين الترك للعصبة العربية

فهذا وجه صد الإسلام للعرب عن محاولة الاستقلال دون الترك ، وقد قلت مرارا انه لا يقدر أحد على إعادة هذه العصبة الى العرب أو إعادتهم اليها بعد ان أهدم الإسلام عنها الآستانة أو تحامل الترك عليهم بإعت العصبة التركية. (١) وقد صدق الزمان هذا القول . واسس الاتحاديون بعصيتهم التركية واضطهادهم للعرب بناء العصبة العربية أو أحيوها بعد موتها . فان هؤلاء الاتحاديين قد تخرسوا برجالات العرب وشبانهم في الآستانة وغيرها فعلوا من أقوالهم وأفعالهم في دور الحكومة الرسمية ومدارسها وأندية الجمعية في البلاد العربية أن عزمهم على تبريك الغرب كغيرهم بالقوة عزم ثابت لا يرجعون عنه وأنهم جازمون بسهولة تبريك بلاد سورية والمراق في سنين معدودة وما يعسر تبريكه الآن من جزيرة العرب بعد من المستعمرات بوضع له قانون خاص لإدارته ولا يكون لاهله ما لساثر العثمانيين من الحقوق المنصوصة في القانون الاساسي . وقد أرسلوا طائفة من طلبة الترك الى أوربة لاجل درس قوانين الاستعمار

بهذا علم نبياء العرب أن أمتهم واقتمهم عرضة للزوال من المملكة العثمانية — ولا يجهل أحد ان الدين الاسلامي يقوى بقوة لغته العربية ويضعف بضعفها ولا تقول أكثر من ذلك -- فتوجهت قلوب كثير منهم لتدارك الخطب وأنفوا بعض الجمعيات لذلك ورأى الذين يتحرون هدي الإسلام في أعمالهم أن ما كان مانعا من إحياء الجنسية العربية قد زال وخلفه المقتضي لأحيائها فقد كان المانع من ذلك اتقاء الشقاق

(١) أذكر أنني كتبت هذا غير مرة في المنار واسكنني لا أتذكر من مواضعها الا ما في ص ٢٥٢ و ٢٥٣ من المجلد الثالث عشر والمبارة فيه تدل على أنها مسبوقة، والا ما في ص ٨٠ من المجلد التاسع عشر

بين العرب وفتح واقضاء ذلك الى زوال الدولة واستيلاء الاجانب على بلادها ، وقد وقع ذلك من قبل الامجاديين أي من قبل الدولة نفسها لاها في قبضتهم فلا منى لاقائه وقد حصل ، وخلفه المتغني لاجاء هذه الجنسية وهو وجوب المحافظة على الامة العربية والامة العربية شرعا . ولكن هذا قد يحصل بما دون استقلال العرب بأنفسهم دون الترك وان كان حصولا ضميا فلم يكن باعنا على السبي الى تأليف دولة عربية بل الى طلب اصلاح اضطرر في تحديده أفرادهم وجماعاتهم وكان حرب اللامركزية أقصدها وأشدّها اعتدالا

وما كان يحق على أحد من هؤلاء أن مطالبهم مطلقة بين الرجاء واليأس وان الحياة إنما هي حياة الاستقلال لانها الامة ولا ترقي الامة بدونها ، ولكن دونها خرط القناد ، اذ لا تحصل الاثورة يصطدم بها الترك والعرب اصطداما يخشى أن يضمف الفريقين وينتهي بزوال الدولة واقسام أوربة لبلادها . ومن ذا الذي يقدم على حل هذه التبعة الثقيلة التي تنط من حلها الجبال الرواسي ؟ أيجهل أحد من طلاب الإصلاح للعرب أن هدم آخر سلطنة اسلامية مها يكن سبه الحامل عليه لا يتب السعي اليه والقائم به الا لمن مثت الملايين من المسلمين الى يوم الدين ؟ لهذا أجمع طلاب الإصلاح من العرب الذين يمتد برأيهم ، ويرجى تأثير علمهم ، على ان لا يكونوا سببا لقوط الدولة وزوالها . ولا يسعوا الى ضررها ولا الى اضافها ، وعلى أن يجعلوا همهم في اصلاح أنفسهم ، وعماراة بلادهم ، مع التصح للدولة والاخلاص لها ، وطلب حقوقهم التي أقتها لهم القانون الاساسي فيها ، ليرتقوا ويمتروا بأنفسهم فلا يفتلوا مع الدولة ن سقطت عوتت الدولة وترقي بارقاتهم ان بقيت ، وأن يكون جلّ سعيهم الى ذلك في مجلس الامة بواسطة مبعوثهم ثم طرأ على بعضهم اليأس من بناء الدولة وقوي ذلك وكثر التفكير في مراقبه عند ملتب القاتنون الدولة في الحرب وكلفت دولة البلغار التي تم لها استقلالها في عهد القسطنطينوس الثاني على الآسنة ، وتعدت جرائد أوربة بمحرق بعض الدول الكبرى في بلاد الدولة ونس بلذكر بعض الولايات العربية ، وطبق التفكير يناحي بعضهم بعضا : ما علينا اذا أهدمت دولة نورية على الاستيلاء على بلادنا كما استولت

ايطالية على طرابلس الغرب وبرقة وليس فيها شيء من أسباب الدفاع ولا يمكن الدولة ولا مصر أن تساعدوا على مقاومة المحتلين كما ساعدتهما ، صدعهم هذا اليأس بعد ان قوي رجاؤهم في الدولة بانتصار حزب الحرية والاتلاف على حزب الاتحاد والترقي وانتزاعه السلطة التنفيذية من يده ، ثم قوي ذلك اليأس واشتد بشورة الاتحاديين على وزارة كامل باشا وقتلهم لناظر الحربية في الباب العالي وتأليف وزارة جديدة منهم بقوة الثورة ، ولولا ان زعماء العرب كانوا مجمعين على المحافظة على الدولة مهما تكن حالها ، لبادروا عند ذلك اليأس الشديد الى اضرام نار الثورة على الدولة والجهر بالاستقلال دونها ، لعلمهم بأنه لم يبق عندها في ذلك الوقت سلاح ولا ذخيرة تدافع بهما عن عاصمتها ، فكيف تقدر على مجر يد عسكر بمحمد زيران الثورة في البلاد البعيدة عنها ؟ ولكنهم لم يفعلوا ، ولم يكن الاسلام هو المانع لهم من التصدي لتأسيس دولة عربية وهم يأتسون من بقاء الدولة التركية ومن اقامتها للاسلام ان بقيت والاتحاديون غالبون على أمرها ، فان افتاء مذاهبيهم بوجوب طاعة المتغلب خوف الفتنة التي ترجح مفسدتها على المصلحة لم يعد ينطبق على حالتهم مع الدولة ، ولكن المانع الحقيقي هو الخوف من أوربة أن تغتصب الفرصة وتستولي على البلاد فبين بهذا ان ما كان يصد زعماء العرب من المسلمين عن التصدي لتأسيس دولة عربية أمران : الاسلام والخوف من أوربة ، وكان الرجحان في بعض الاحوال للاول وفي بعضها للثاني ، ولكنهما كانا في عامة الاحوال والاوقات مانعا واحدا أو سببا واحدا مركبا من أمرين كل منهما يقوي الآخر

وبعد حرب البلقان أقدمت الحكومة الاتحادية على عقد الاتفاق بينها وبين الدول الكبرى على الاعتراف لمن بالنفوذ الاقتصادي في أعظم الولايات العربية ليقرضها عشرات الملايين من الجنيهات ، وصرح بعض كبار السياسيين في جرائد أوربة بأن مناطق النفوذ الاقتصادي تتحول الى مناطق نفوذ سياسي عند سئوح أول فرصة لذلك ، فبنت عند زعماء العرب ان الاتحاديين شرعوا في تنفيذ ما هدوهم به من بيم بلادهم وترقية الترك بشمها كما فعلوا ببيع طرابلس الغرب وبرقة ، فاشتدت هزتهم على طلب الاصلاح وحقدوا المؤتمر العربي في باريس لذلك فدعوت الحكومة

الانحدادية وطلت الى الحيلة والخداع لضعفها في ذلك الوقت وكان من أمر نتيجة المؤتمر ما هو معلوم من اعتراف جمعية الانحداد ثم حكومتها ببعض حقوق العرب في الدولة ووعدوا باعطائهم تلك الحقوق بالتدرج وخذاعها للسيد عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر وتصديقه إياها بما وعدت به

الحرب الأوربية واستقلال الحجاز

ثم ظهرت بوادر الحرب الأوربية وعزم الدولة على الدخول فيها فبادرت الى كتابة مقالة نصحت فيها لاختواني العرب بالكف عن طلب الاصلاح في حال الحرب وتأبيد دولتهم بالاجماع فكان لها تأثير عظيم. ولكن الانحدادين لما دخلوا في الحرب وجعلوا الاحكام في المملكة عسكرية عرفية جعلوا ذلك وسيلة للتنكيل بالعرب والارمن حسب خطتهم المقررة منذ سنين فصلبوا في سورية جميع من عرفوا من المطالبين بالاصلاح من نابغي العرب ونفوا عن البلاد ارباب البيوتات والاروة الكبيرة وصادروا أموال الناس وغلات أرضهم، وفعلوا مثل ذلك في العراق، ثم تحرشوا بالحجاز فبادر الشريف أمير مكة المكرمة الى اعلان استقلال الحجاز بهذا النصح لجمال باشا الحاكم العسكري الانحدادي المطلق في سورية والحكومة الآتتانه بالكف عن الفظائع في سورية والعراق فلم يقبل نصحه، وانتهى أمر الشريف باعتراف دول الحلفاء باستقلاله التام وبما باعته به أهل البلاد من جعله ملكا عليهم

وقد نشر الشريف قبل المبايعة منشورا بين فيه سبب قيامه مع الحجازيين بما قاموا به ففهمنا منه انه كان موافقا لما أجمع عليه من دونه من زعماء العرب من الرغبة في المحافظة على بقاء الدولة واتقاء ان يكون زوالها أو ضعفها من قبل العرب، فان استقلال الحجاز الذي أنتجته الضرورات لا يمكن ان يكون سببا لزوال الدولة وهي داخلة في أحد الحلفين اللذين اتقسمت اليهما دول أوربة الكبرى. فان النصر لأحد الحلفين على الآخر انما يكون باتصاره عليه في أوربة، واستقلال الحجاز لا يقدم في ذلك ولا يؤخره، وليكنه افاد العرب فوائده عظيمة فصدق عليه قولنا إما ان ينفع نفعا كبيرا أو يضرنا واما ان لا يضر. وقد ثبت عندنا ان استقلال الحجاز كان سببا لكف الانحدادين عن محاولة ابادة العرب من سورية والعراق الآن وتخفيف ما كانوا شرعوا

فيه من المذابح والفظائم وكان هذا من أجل منافعه التي تربي على ما ترتب عليه من سفك الدم الذي اجتمدت الحكومة العربية الحجازية في اجتهابه بقدر الطاقة

عاقبة العرب استقلال الشعوب

ثم طرأ بعد استقلال الحجاز أن أعلن دول الاحلاف أنهم قد اتفقن على حرية الشعوب واستقلالها في أمر حكومتها وذكروا العرب والأرمن منها. وهذه قاعدة عادلة عظيمة الشأن اذا نفذت على وجهها الصحيح وكانت الدول كلها متضامنة في حفظها بما يتعاهدن عليه في مؤتمر الصلح، وأولها بعضهم بمعنى أن لا يحكم الشعب الا بالطريقة التي يختارها لنفسه، ولكن الوقوف على آراء الشعوب المغلوبة على حريتها متعذر في هذه الاوقات التي تخضع فيه للاحكام العسكرية، وقد علمنا ممن فر من سورية والعراق الى مصر والحجاز ومن أسراهم بمصر ان العداء بين العرب والترك قد عم وعمكن فلما طمع في زواله ولم يبق في العرب من لا يرغب في الاستقلال دون الترك. ومن البديهي انه لا يوجد شعب في الدنيا يختار على الحرية والاستقلال شيئا إذا تسراله، ولكن يوجد في كل أمة أفراد من عبيد المال، ومن الجاهلين الذين يخدعون بزخرف الاقوال، فيمكن أن يستخدم من هؤلاء وأولئك بالترغيب والترهيب طائفة تقول ما تؤمر أن تقول، ولا يمكن أن يكون اختيار هؤلاء للعبودية بتسميتها بغير اسمها حجة على الشعب، ولكن القوة تحتاج إلى الضعف بما تشاء، وانما يعرف رأي الشعوب في بلاد الحضارة من قبل أحزابها السياسية، وليس للشعب العربي العثماني حزب سياسي هام. الا (حزب الامم كزية) وبممكنه أن يبين رأي الشعب ان استطاع زعماءه أن يعربوا عن آرائهم، وله جمعيات موضعية خاصة كجمعية الاتحاد اللبناني بمصر وأمريكا والنهضة اللبنانية في أمريكا فهي تمثل آراء جمهور اللبنانيين. والدول اذا اخلصت في تنفيذ هذه القاعدة تقررها وعند ما يجتمع زعماء كل أمة تنال استقلالها جديدا لتأسيس حكومتها العليا يعرف رأيهم في شكلها، ولا يعرف معرفة صحيحة بغير ذلك. فاذا انتهت الحرب بذلك كانت عاقبتها على البشر خيرا العواقب. والله الموفق